حكام دمشق والحروب الصليبية
٤٩١ – ٥٧٠ هـ / ١٠٩٨ – ١١٧٤م
دراسة تقويمية

د . راغب حامد البكر
كلية الآداب – قسم التاريخ

تمهيد

لقد تناول عدد كبير من الباحثين عرباً وغربيين الحروب الصليبية ، غير ان هنالك جوانب معينة بحاجة ماسة الى دراسات تحليلية ، برؤية موضوعية بعيداً عن التأثر بالاساليب السردية او الانسياق وراء ما كتبه الغربيون من دراسات كرس البعض منها لخدمة مصالحهم الاستعمارية في المنطقة ، كما يتضح هذا في احدى الدراسات التي خلصت إلى القول بأن سياسة التعايش السلمي هي السبيل الوحيد لخدمة المصالح المشتركة بين الصليبيين وجيرانهم وإذا ما حصل العكس فان ذلك يؤدي إلى الحاق الأذى والضرر لكلا الطرفين (١) ؛ لذا تأتي هذه الدراسة لتوضيح ابعاد السياسة الاقليمية الضيقة التي اعتمدها حكام دمشق تجاه الصليبيين من جهة وقادة حركة المقاومة الاسلامية من جهة أخرى ، وما تركته من آثار سلبية على الصراع بين العرب والغرب . كما تستهدف هذه الدراسة أيضاً تبيان ما كانت تشكله دمشق من ثقل سياسي وعسكري لو كان وظف لمجابهة العدوان الصليبي فان ميزان القوى كان سيرجح لصالح المعسكر الاسلامي .

دمشق قبيل العدوان الصليبي :

عاشت دمشق حالة من الضعف والانحطاط السياسي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي شأنها في ذلك شأن بقية مدن بلاد الشام التي خرجت عن سيطرة الخلافة العباسية منذ فترة طويلة ، وأصبحت تخضع للنفوذ الفاطمي الذي كان في صراع دائم مع القبائل العربية

(١) Fink H,S, The Rule of Damascus in History of the Crusades Muslim world 1952 Vol ,49. P.53

في خضم ذلك الصراع ظهر السلاجقة الأتراك الذين سيطروا على مقاليد الأمور في الخلافة العباسية سنة ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م . وعدوا أنفسهم أوصياء على ممتلكات الخلافة (٢)، التي كانت بلاد الشام تشكل جزءاً حيوياً منها . وتجدر الاشارة الى ان حركة انسياح القبائل التركمانية اتجهت اليها حيث استغلت من قبل زعماء القبائل العربية في صراعهم مع الفاطميين (٣)، كما نلاحظ ذلك في سياسة بني مرداس الذين كانوا يحكمون حلب حيث استعانوا بالتركمان في جيوشهم وذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما أقاموا الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله وللسلطان السلجوقي من بعده وذلك في سنة ٤٦٢ هـ /١٠٦٩م(٤) عند ذلك أخذ السلاجقة يعملون على استعادة بلاد الشام الى حاضرة الخلافة العباسية فأمر السلطان السلجوقي ملكشاه أحد اتباعه وهو اتسز بن أوق بالتوجه الى بلاد الشام حيث تمكن من الاستيلاء على الرحبة (٥) والقدس وما يجاورهما باستثناء عسقلان وتوجه إلى دمشق وظل يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها سنة ٤٦٨ هـ /١٠٧٥ م (٦) .

اتجهت أنظار أتسز بعد استيلائه على دمشق صوب مصر فسار بجيشه سنة ٤٦٩ هـ /١٠٧٦ م الى هناك في محاولة منه للقضاء على الخلافة الفاطمية ولم تصادفه أية مقاومة تذكر حتى وصل الدلتا ، وعندما حاول دخول القاهرة واجه مقاومة عنيفة من قبل أمير الجيوش بدر الدين الجمالي الذي تمكن من

(٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٨-٩، حسين امين : العراق في العصر السلجوقي ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) للمزيد من المعلومات عن حالة الصراع بين القبائل ، انظر : محمد جمال سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٤٩ .

(٤) ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٥٨، ص ٩٩ ابن العديم، كمال الدين عمر بن هبة الله : زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق : سامي الدهان دمشق ، ١٩٥٤ ، ص ١٦ - ١٧ .

(٥) الرحبة : قرية من قرى دمشق تبعد عنها مسيرة يوم .ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبدالله معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ٣/٣٣- ٣٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ١٠٠/٦٨ ، عبدالنعيم حسين العراق وايران ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥٦ .

حشد قوات كبيرة وألحق الهزيمة بأتسز الذي انسحب هارباً إلى الرملة (٧) وشجعت هذه الهزيمة التي الحقها اتسز بالفاطميين على المحاولة من جديد لاستعادة نفوذهم في بلاد الشام (٨)، فانفذوا جيشاً حاصر دمشق سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، فاضطر اتسز للاستنجاد بتاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي الذي كان مشغولاً آنذاك بمحاصرة مدينة حلب التي أقطعه اياها أخوه السلطان ملكشاه ، فضلاً عما يستولي عليه من بلاد الشام ، فسار تتش إلى دمشق مما جعل الجيش الفاطمي ينسحب إلى مصر وفيما بعد وجد تتش ان هيمنة اتسز على بلاد الشام تتعارض مع طموحاته ، لذا عجل بقتله سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م(٩)

بعد ان استولى تاج الدولة تتش على مدينة دمشق ، اخذ يعمل على توسيع نفوذه في بلاد الشام . فدخل في منازعات مع الأمراء المحليين في المنطقة حيث نازع مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل . وبني مرداس في حلب ومع الفاطميين وولاتهم في مدن الشام (١٠) فضلا عن وقوفه امام اندفاع سليمان ابن قتلمش السلجوقي صاحب قونية الذي احتل انطاكيا وحاول ان يوسع نفوذه في بلاد الشام ، إلا أنه هزم في المعركة التي جرت بينه وبين تتش والتي انتحر في أثرها سليمان سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م (١١) .

بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م أخذت قوة السلاجقة بالضعف والانحطاط بسبب النزاع الذي نشب حول السلطنة . اذ أن خليفته بركيا روق

---

(٧) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١٠٨ ، المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي : اتعاظ الحنفا في ذكر الأئمة الخلفا ، تحقيق : محمد حلمي ، القاهرة ١٩٧١ ، ٢/٣١٧ – ٣١٨.

(٨) خاشع المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ، بغداد ، ص ٩١ – ٩٢ .

(٩) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١١٢ ، الذهبي : دول الاسلام ، تحقيق : فهيم شلتوت مصر ١٩٧٤ ، ٥/٢ ، ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : علي سويم ، انقرة ١٩٧٦ ، ص ٤٦ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ، ١٠/٢٣٢ – ٢٣٤ ، المعاضيدي : الحياة السياسية ، ص ٩٢ .

(١١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ٢/٩٩–١٠٠ ، تامارا تابلوت رايس : السلاجقة ، ترجمة لطفي الخوري ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٥٣ – ٥٤ .

لم يكن يمتلك من القوة والمهارة لمواجهة اطماع الأمراء السلاجقة الأخرى(١٢) وكان أخطر المنافسين له على الحكم عمه تتش الذي ادعى السلطنة وأصبحت له كل من دمشق والرحبة وحلب والرها وديار بكر والموصل (١٣) . وترتب على ذلك قيام الحروب بين تتش وابن أخيه السلطان وانتهت هذه الحروب بمقتل تتش سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م (١٤) .

اصبحت الدولة السلجوقية في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي مقسمة الى خمسة أجزاء متنازعة فيما بينها ، هي سلطنة فارس والتي يضمنها جزء من العراق ويحكمها السلطان بركيا روق ، وحلب التي يحكمها رضوان إبن تاج الدولة تتش ، ودمشق وعلى رأسها دقاق بن تتش ، وسلطنة سلاجقة الروم وعاصمتها قونية بيد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش ، ومملكة خراسان وما وراء النهر وعليها سنقر . هذا فضلاً عن بعض المدن التي كانت تتمتع بنوع من الاستقلال كأمارة بني عمار في طرابلس وشيزر وأنطاكيا(١٥) وقد بلغت حالة النزاع أوجها بين دقاق حاكم دمشق ورضوان حاكم حلب من أجل الاستحواذ على أملاك ابيهما (١٦) ، وتدخلت في خضم هذا الصراع أطراف متعددة أمثال باغي سيان وسكمان بن ارتق صاحب النفوذ على الجزيرة ومدينة القدس ، وجناح الدولة صاحب حمص (١٧) .

هكذا كانت الاوضاع السياسية لبلاد الشام عند قدوم الغزاة الصليبيين قوى سياسية متعددة متنازعة فيما بينها تحاول كل واحدة منها تحقيق مصالحها على حساب بقية الأطراف الأخرى مما كان له الأثر الكبير في اضعاف

(١٢) رشيد عبدالله الجميلي : امارة الموصل في العصر السلجوقي ، بغداد ١٩٨٠ ، ص ٨٠ - ٨١ ، تامارا : السلاجقة ، ص ٥٤ .

(١٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدرآباد ١٩٥٩ ، ٧٦/٩ - ٧٧ .
H: Gib- The Damascus chronicle of the crusades- (London 1967) p.21

(١٤) للمزيد من المعلومات عن الصراع بين تتش وبركيا روق ، انظر : ابن القلانسي: ذيل دمشق ، ص ١٢٤ - ١٣٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ١١٠/٢ - ١١٩ .

(١٥) سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ١١٤/١ .

(١٦) ابن شداد ، عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم :الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق : يحيى عبارة ، دمشق ١٩٧٨ ، ٤١٢/٣ - ٤٠٣ .

(١٧) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ١٢٥/٢ .

لمواجهة العدو الخارجي . ولم يقتصر هذا الأمر على المرحلة المبكرة للمواجهة العربية الاسلامية بل تعداه الى المراحل اللاحقة وهذا ماظهر من خلال مواقف بعض الحكام المحليين وكان هذا الأمر جلياً لدى حكام دمشق تجاه الغزاة الصليبيين كما سنرى.

موقف حكام دمشق :

كانت المساهمة الأولى لحكام دمشق في مواجهة الصليبيين حينما حاصروا انطاكيا في اواخر سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م في أثر استغاثة حاكمها ياغي سيان بالقوى العربية والاسلامية. فأرسل الى دقاق حاكم دمشق وجناح الدولة أمير حمص وكاربوقا حاكم الموصل ، كما طلب المساعدة من سلطان السلاجقة بركيا روق والخليفة العباسي (١٨) ، فاستجاب لهم بركيا روق ودقاق فضلاً عن الأمراء المحليين من التركمان والعرب ، وكانت تربط دقاق بياغي سيان علاقة طيبة بسبب وقوف الأخير الى جانبه في نزاعه مع أخيه رضوان حاكم حلب (١٩) .

انطلق دقاق باتجاه انطاكيا وفي اثناء سيره انضم اليه جناح الدولة صاحب حمص ومعهم ابن ياغي سيان (٢٠) ، وفي اواخر كانون الأول ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م اصطدموا مع قوة من الصليبيين كانت تبحث عن المؤن والأعلاف الى الجنوب من انطاكيا بالقرب من البارة (٢١) . ولم تسفر هذه المعركة عن نصر حاسم لكلا الطرفين والتقى دقاق مع كربوقا في مرج دابق(٢٢)وانطلقوا من هناك باتجاه انطاكيا ، في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يقتحمون

(١٨) ابن القلانسي: ذيل دمشق ،ص ١٣٤ ، عاشور : الحركة الصليبية ، ١٩٢/١ .
(١٩) ابن العديم : زبدة الحلب ١٢٥/٢، للمزيد من المعلومات عن كربوقا ، انظر : مقالة عمادالدين خليل الموسومة «قوام الدولة ابو سعيد كربوقا» ، مجلة آداب الرافدين،الموصل ١٩٧٤ ، ص ١٦٤ .
(٢٠) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ١٣١/٢.
(٢١) البارة : بليدة وكورة من ضواحي حلب ،وبها حصن ، وهي ذات بساتين ويسمونها زاوية البارة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٢٠/١ .
(٢٢)مرج دابق : قرية بالقرب من مدينة حلب ، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ١٣/٢

مدينة انطاكيا ، وهكذا فان النجدة الاسلامية لم تصل الا بعد فوات الأوان .وما كاد الصليبيون يستقرون في المدينة ويحكمون سيطرتهم عليها حتى حوصروا بالقوات الاسلامية بقيادة كربوقا حاكم الموصل (٢٣) . وعانى الصليبيون من قلة الطعام ونفاده حتى اضطروا الى أكل أوراق الشجر والحيوانات الميتة(٢٤) مما أضطرهم آخر الأمر الى الطلب من كربوقا السماح لهم بمغادرة المدينة ، الا ان طلبهم رفض (٢٥) .

لم يستمر الوضع لصالح القوى الاسلامية عند أسوار انطاكيا طويلاً ،إذ سرعان ماطرأ تحول لصالح الصليبيين ، فقد ظهرت التنبؤآت المزعومة داخل معسكر الصليبيين حول اكتشاف الحربة المقدسة التي طعن بها السيد المسيح مما أدى الى رفع معنوياتهم (٢٦) . فضلاً عن كون كربوقا لم يترك لهم خياراً سوى القتال ، هذا في الوقت الذي أخذت فيه القوى الاسلامية تزداد ضعفاً نتيجة للسياسة الاستعلائية التي اعتمدها كربوقا تجاه حلفائه والمشاحنات التي نشبت بين العرب والأتراك ، مما جعلت البعض منهم ينسحب من المعركة(٢٧) كما فعل ذلك دقاق بعد ان شعر ان هنالك مراسلات بين كربوقا وأخيه رضوان حاكم حلب ووصول الأخبار حول قيام الفاطميين بالتوغل في فلسطين . هذا الى جانب قيام الصليبيين بالمبادرة بالاتصال بحاكم دمشق وحلب عندما كانوا يحاصرون مدينة أنطاكيا ، فيقول ابن الأثير(٢٨)«كان الافرنج قد كاتبوا صاحب حلب ، ودمشق ، بأننا لانقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم ،لا نطلب سواها ، مكراً منهم وخديعة حتى لايساعدوا صاحب انطاكيا»

(٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ١٣٣/٢ ، ابو الفداء ،عمادالدين اسماعيل ابن محمد : باخبار البشر ، القاهرة ١٩٢٥ ، ٢١٠/٢ .

(٢٤)ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١٣٦ والمؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة : حسن حبش ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٩١ .

(٢٥) ابن الأثير : الكامل ، ٢٧٦/١٠ .

(٢٦)ابن الأثير : الكامل ٢٧٧/١٠ ؛ حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى، القاهرة ١٩٥٨ ص ١٤١- ١٤٣ .

(٢٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ١٣٦/٧ .

(٢٨) ابن الأثير : الكامل ، ٢٧٥/١٠.

في تقديم المساعدة العسكرية للمدن التي احتلها الصليبيون في شمال بلاد الشام فضلاً عن المدن التي تعرضوا اليها وفرضوا عليها أتاوات كطرابلس وحمص(٢٩) في اثناء توغلهم باتجاه مدينة القدس وذهب أحد المؤرخين (٣٠) الى القول بأن دقاق كان يرى في احتلال الصليبيين للقدس بمثابة الحاجز أمام التوسع الفاطمي نحو الشرق ويعزز هذا الرأي الموقف المتخاذل لحكام دمشق في اثناء حصار الصليبيين للقدس الذي استمر أكثر من اربعين يوماً (٣١) . وهي فترة كافية على مايبدو لمد يد العون لنجدة المدينة التي تتمتع بأهمية عظيمة بالنسبة للمجتمع العربي الاسلامي .

كان احتلال الصليبيين لمدينة القدس بداية طور جديد في تاريخ تلك المرحلة تجسدت فيه سياسة التوسع الصليبي ، وبالذات في بلاد الشام التي كانت دمشق بمثابة المركز ، حيث موقعها الجغرافي اكسبها أهمية ستراتيجية ، فضلاً عن مواردها الاقتصادية وأهميتها السياسية منذ القديم ، ومن الملاحظ أن السياسة العسكرية التي اعتمدها الصليبيون منذ توجههم من عرقة (٣٢) الى مدينة القدس اقتضت عدم التعرض للمدن المحصنة ، التي أبدت مقاومة عنيفة مثل طرابلس ، صور ، صيدا ، عكا (٣٣) ، لذا ركز الصليبيون في هذا الطور على اتمام سيطرتهم على مدن بلاد الشام ، ولا سيما المدن الساحلية لتأمين اتصالهم باوربا عبر البحر .

ويلمس المتتبع لموقف حكام دمشق في ذلك الدور فتوراً ملحوظاً في مواجهة الصليبيين بعكس ماذهب اليه احد المؤرخين (٣٤) عندما اقتصر في بحثه على

---

(٢٩) اعمال الفرنجة ، ص ١٠٩ – ١١٣ .

(٣٠) H. A. R. Gibb, "The caliphate and state K. setion History of the crusades, Vol. 1, p. 97.

(٣١) ابن الأثير : الكامل ، ٢٨٣/١٠ .

(٣٢) عرقة : بلدة تقع شرقي طرابلس تابعة لدمشق وهي على سطح جبل بينها وبين البحر نحو ميل ، ياقوت : معجم البلدان ، ١٠٩/٤ .

(٣٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني ، بيروت ١٩٦٧ ، ٣٨٨/١ – ٣٨٩ .

(٣٤) دريد عبدالقادر : موقف اتابكية دمشق من الغزو الصليبي لبلاد الشام ، مجلة آداب الرافدين ع ١١ ، سنة ١٩٧٩ .

ابرز الجوانب الايجابية لحكامها ، بمعزل عن الاوضاع العامة التي كانت تعيشها بلاد الشام آنذاك . في حين ان الفترة التي نحن بصددها قد تداخلت فيها مؤثرات داخلية تمثلت في طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين القوى المحلية من جهة وموقف هذه القوى من الصليبيين وفي ضوء هذا سوف نركز بهذا الصدد على موقف الحكام المحليين من هذا التحدي الخارجي .

بعد وفاة دقاق حاكم دمشق سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م آلت مقاليد الأمور إلى اتابك طغتكين مؤسس الأسرة التي عرفت بآل بورى ، فلقد انصرف اهتمام طغتكين إلى تثبيت سلطته في دمشق (٣٥) هذا في الوقت الذي كان الغزاة الصليبيون ينفذون سياستهم التوسعية خاصة باتجاه الساحل الشامي ، فقد استولوا على أرسوف وقيسارية وعكا وصيدا وطرابلس (٣٦) ، وكانت مساعدة طغتكين لهذه المدن محدودة في حين انها كانت بحاجة أكبر لمد يد العون والمساعدة من حكام دمشق ، ولم تخل هذه الفترة من المناوشات والمعارك الجانبية بين طغتكين وبلدوين الأول ملك مستعمرة القدس وكانت العلاقة هذه على ما يبدو ناجمة عن التنافس بينهما للسيطرة على موانيء بلاد الشام ، وترتب على ذلك نوع من العلاقات السياسية بينها انتهت بعقد هدنة لمدة عشر سنوات (٣٧) . ويتضح من بنود تلك المعاهدة (٣٨) .ان هنالك تنازلات من قبل حاكم دمشق عن سيادته.وان الغزاة لم يكونوا عند وعدهم وان تلك المعاهدة بالقدر الذي تؤكد على المصلحة الشخصية لطغتكين للحفاظ على سلطته فكانت رغبته في الاحتفاظ بدمشق أقوى من رغبته في الجهاد كانت بالمقابل موقف مرحلي من قبل الصليبيين ،إذ أنها تتعارض مع سياستهم التوسعية والدلالة على ذلك تعرضهم لمدينة بعلبك التابعة لمدينة دمشق (٣٩)

(٣٥) ابن الأثير :الكامل ١٠/٣٧٥ – ٣٧٦ ،للمزيد من المعلومات عن هذه الأسرة ، ينظر شاكر مصطفى : طغتكين – الإسرة البورية ،مجلة كلية التربية ،ع٢ ،الكويت ١٩٧٢ ، ص ٣٥ – ٤٤ .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل ، ١٠/٣٤٥ ، ٤٦٥ .

(٣٧) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١٦٤ .

(٣٨) انظر نص المعاهدة : دريد عبدالقادر : المرجع السابق ، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

(٣٩) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١٧١ ؛ شاكر مصطفى ، طغتكين ، ص ٦٥

لاحقاً من عقد المعاهدة .

في الوقت الذي كان فيه الغزاة ينفذون سياستهم التوسعية كان إزاء ذلك حركة مضادة لمواجهة هذا العدوان انطلقت من شمال العراق تزعمها شرف الدين مودود أمير الموصل ، ويبدو ان طغتكين قد وجد في هذه الشخصية عوناً مرحلياً له للوقوف أمام أطماع الغزاة ، خاصة وانه كان يعتمد سياسة موازنة القوى وليس الحسم لصالح أي طرف من هذه القوى سواء أكانت محلية أو صليبية كما وصف ذلك ابن العديم (٤٠) بقوله « فجعل اتابك (طغتكين) يريث الصليبيين عن اللقاء خوفاً من الصليبيين ان يكسروا العساكر السلطانية فيأخذوا الشام جميعه أو ينكسروا فتستولي العساكر السلطانية على ما في يده » .

عبر مودود الفرات سنة (٥٠٦ هـ /١١١٣ م) بعد ان تجمعت الجيوش الاسلامية بالقرب من حماه باتجاه بحيرة طبرية ولم يلبث مودود وطغتكين ان حاصرا مدينة طبرية إلا أنهما عجزا عن تحريرها (٤١) . هذا في الوقت الذي أنزلا بالغزاة خسائر فادحة كاد يهلك فيها بلدوين الأول (٤٢) . وبقي الصليبيون في حالة دفاع عن موقعهم لمدة ستة وعشرين يوماً مما دفع مودود الي الانسحاب بعد ان قام بنهب المناطق التي كان الصليبيون يستوطنون فيها بين عكا والقدس (٤٣) ثم عادا إلى دمشق وأذن مودود لرجال جيشه بالعودة إلي مناطقهم للاستراحة ثم الاجتماع به في الربيع لمواصلة مقاتلة الغزاة الصليبيين(٤٤) .

مكث مودود في دمشق بضيافة طغتكين لحين انقضاء فصل الشتاء ولم تمض بضعة أسابيع حتى قتل مودود في أواخر شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٧ هـ /١١١٣ م في الجامع الأموي بيد أحد عناصر الباطنية بعد ان أدى

(٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب٢ / ١٧٥.
(٤١) ابن الأثير : الكامل ٢/٤٩٥ – ٤٩٦ .
(٤٢) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١٨٥ .
(٤٣) ابن الأثير : الكامل١٠/٤٩٦ .
(٤٤) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ١٠/٤٩٦ .

صلاة الجمعة وكان بقربه طغتكين (٤٥). وقد اختلف المؤرخون في الدوافع والجهة التي وراء هذا الاغتيال فقد ذهب أحدهم إلى القول بأن الباطنية هي التي دبرت ونفذت عملية الاغتيال لأنها كانت تعلم بأن تعاظم نفوذ مودود في بلاد الشام يعني القضاء على وجودها (٤٦) في حين ان هنالك العديد من المؤرخين من لمح أو أكد على ان طغتكين هو الدافع على عملية الاغتيال وان دليل الاتهام ينحصر في تعجل طغتكين بقطع رأس القاتل واحراق جثته لطمس معالم الجريمة. كما أيد وليم الصوري الشائعات التي انتشرت بين الناس بأن طغتكين كان له يد في عملية الاغتيال (٤٧). ويبدو ان طلب المساعدة التي تقدم بها طغتكين لمودود كانت لمواجهة خطر محدد وليس كما كان يطمح له مودود بأن نجدته لطغتكين كانت بمثابة خطة انطلاقية لمواجهة واسعة تستهدف تقويض الوجود الصليبي وان تكون دمشق قاعدة لمشروع المواجهة وهذا بطبيعة الحال يتعارض مع سياسة حكام دمشق.

ان اضطلاع طغتكين في عملية الاغتيال مسألة غير مستبعدة، ولا سيما إذا علمنا ان طغتكين كانت تربطه علاقة قوية مع الباطنية وأنه كان يشكل غطاء لاعمالهم الشريرة (٤٨). ومما يؤكد تورط طغتكين في عملية الاغتيال ان السلطان السلجوقي محمد عزا اليه قتل مودود، فأوعز إلى أمير همدان برسق بن برسق لمقاتلة طغتكين فيذكر ابن الأثير (٤٩)» وأمرهم السلطان بالبداية بقتال ايلغازى (أمير ماردين) وطغتكين، فاذا فرغوا منهم قصدوا بلاد الصليبيين وقاتلوهم وحاصروا بلادهم». وعلى الرغم من بعض الانتصارات التي حققها برسق في بلاد الشام إلا أنه فشل في نهاية الأمر وذلك

(٤٥) ابن القلانسي: ذيل دمشق، ص ١٨٧.
(٤٦) ابن الأثير: الكامل ٤٩٧/١٠.
(٤٧) عاشور: الحركة الصليبية ٢٦٢/١، للمزيد من المعلومات حول اتهام طغتكين باغتيال مودود ينظر شاكر مصطفى، طغتكين ص ٦١ – ٦٢.
(٤٨) ابن الأثير: الكامل ٥٠٩/١٠.
(٤٩) اسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي، ص ٧٢ وما بعدها الكامل ٥١٠/١٠ – ٥١١.

بسبب التحالف الذي تم بين طغتكين وقادة الصليبيين في القدس وانطاكيا وطرابلس (٥٠).

ان الفترة التي اعقبت ذلك اتسمت فيها سياسة طغتكين تجاه الصليبيين بالطابع الدفاعي وتخللتها عقد هدنة وتنازلات ، فنلاحظ ذلك عند تسليم طغتكين مدينة صور للصليبيين سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م على الرغم من استبسال أهلها في الدفاع عنها (٥١). وكان سقوط صور يعني استكمال الصليبيين احتلالهم للساحل الشامي مما دفعهم بالتالي إلى محاولة احتلال مدينة دمشق سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م . ولم يكن أمام طغتكين سوى الاستعانة بالقوى الاسلامية المجاورة فجرت معركة عند مرج الصفر من دمشق الحقت بالصليبيين الذين كانوا بقيادة بلدوين هزيمة منكرة (٥٢).

بعد وفاة طغتكين سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ومجيء ابنه تاج الملوك(٥٣) لم تنقطع محاولة الصليبيين لاحتلال دمشق بسبب وقوفهم على طبيعة العلاقات السياسية بين حكام دمشق والقوى الاسلامية المجاورة والتي يغلب عليها طابع الشك والتنازع ، هذا الى جانب طبيعة الأوضاع الداخلية التي كانت تعيشها دمشق آنذاك ، إذ جاءت الدعوة لاحتلالها من الداخل حيث تم الاتفاق سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٨ م بين الباطنية والصليبيين على ان يتنازل الأخيرين للباطنية عن مدينة صور مقابل تسلمهم مدينة دمشق ، وكان هذا بعلم وزير حاكم دمشق آنذاك ابي علي طاهر المزدقاني إلا ان هذه المؤامرة سرعان ما انكشف أمرها وتم تصفية عناصرها في السنة ذاتها (٥٤) .

---

(٥٠) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ٢١١ ، رنسيمان : تاريخ الحروب ، ٢٦٨/٢ – ٢٧٣ .
(٥١) مرج الصفر : ثرية من نواحي دمشق . ياقوت الحموي ١٠١/٥ .
(٥٢) ابن الأثير : الكامل ٦٥٢/١٠ .
(٥٣) ابن الأثير : الكامل ٦٥٦/١٠ – ٦٥٧ ، .
(٥٤) جون لامونت الحروب الصليبية والجهاد ، دراسات اسلامية ، ص ١٠٣ .

ان مواقف حكام دمشق المهادنة والمتحالفة في بعض الأحيان مع الغزاة الصليبيين جعلت كل المحاولات التي قام بها حكام الموصل لنجدة القوى المحلية الموجودة في بلاد الشام من أطماع الصليبيين ، فضلاً عن محاولتهم استكمال مشاريعهم التي كانت تستهدف تحرير فلسطين من قبضتهم ، تبدو غير مجدية من غير ان تكون لهم قواعد ثابتة في بلاد الشام وبالذات حلب ودمشق وأصبحت هذه المسألة تشكل قناعة أكيدة لدى عماد الدين زنكي الذي أعلن عن سياسته التي تؤكد ان النصر مرهون بالوحدة وهذا يقتضي اخضاع أو عزل الأمراء المتناحسين (٥٥) ، وفي الوقت نفسه كانت بلاد الشام تعيش حالة من الضعف السياسي والاستياء الشعبي نتيجة عجز حكام دمشق وحلب عن مواجهة أطماع الصليبيين لذا كان استنجاد أهالي حلب بعماد الدين زنكي بمثابة فرصة سانحة لتحقيق طموحه في ضم حلب إلى الموصل وجعلها امارة واحدة وكان ذلك في سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م وتمكن بعدها من ضم حماة في السنة ذاتها (٥٦) .

اتجهت أنظار عماد الدين نحو دمشق بعد ان راسله اعيانها سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م يشكون من سوء سيرة حاكمها آنذاك شمس الملك (٥٧). وقد أدرك زنكي أهمية دمشق في قتاله ضد الصليبيين ، غير ان سياسة وزيرها معين الدين أنر اتسمت آنذاك بالحفاظ على استقلاليتها . فاعتمد من أجل ذلك على الصليبيين للوقوف بوجه طموح عماد الدين (٥٨) فقد أرسل معين الدين إلى بيت المقدس سفارة برئاسة أسامة بن منقذ سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م تم من خلالها عقد اتفاقية تضمنت ان يبذل حاكم دمشق للصليبيين ٢٠ الف قطعة من الذهب كل شهر لتجهيز جيوشهم وان يبقي عندهم رهائن (٥٩) .

(٥٦) ابن الأثير : الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل ، تحقيق : عبدالمعطي طليمات القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣٧ – ٣٨ .

(٥٧) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق : محمود زايد ، ١٩٧١ ، ص ١٠٣ .

(٥٨) S: Lone Poole,Saladin and fall of Kingdom of Jeru salem (London 1958) P: 55

(٥٩) رنسيمان : تاريخ الحروب ٢/٣٦٤ – ٣٦٥ ، انظر اشارة ابن القلانسي : ذيل دمشق ص ٢٧٤ ، ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٨١ .

لم يستمر التحالف بين معين الدين أنر والصليبيين طويلاً ؛ فسرعان ما شن الصليبيون هجوماً على حوران التي كانت تابعة لدمشق في الوقت الذي أراد التونتاش حاكم صرخد(٦٠)وبصرى مقابل مساعدته في امتلاك حوران(٦١) فتوجه الصليبيون بقيادة ملكهم بلدوين الثالث من طبرية إلى حوران سنة ٥٤٢ هـ /١١٤٧ م مما دفع معين الدين إلى الخروج على رأس جيش لسد طريق بصرى وصرخد أمامهم فضلاً عن ارساله بطلب نجدة من نور الدين وأسرع الأخير لنجدته واجتمع بجيش معين الدين عند صرخد وقاموا بالاستيلاء على بصرى قبل ان يستولي عليها الصليبيون ثم استسلمت لهـا صرخد (٦٢)وهكذا فشل الصليبيون في تحقيق هدفهم ثم انسحبوا من بصرى إلى طبرية بضغط من جيش نور الدين ومعين الدين . مما جعلهم يطلبون السماح لهم بالعودة سالمين إلى فلسطين ، إلا أنهم لم يتمكنوا من العودة إلا بعد كثير من المصاعب والمتاعب ؛ هذا في الوقت الذي كان معين الدين لا يرغب في توسيع الفجوة مع الصليبيين الذين كانوا لا يرغبون في اثارة النزاع مع دمشق وفي الوقت الذي صار من الممكن ان تعود المياه إلى مجاريها بين حاكم دمشق وملك بيت المقدس إذ بالحملة الصليبية الثانية ٥٤٣هـ /١١٤٨ م تصل إلى الشرق ولتعزز النزعة التوسعية للصليبيين من جديد (٦٣) .

كانت الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٣ /١١٤٨ أكبر تحدي واجهته دمشق لان قادة الحملة بعد اجتماعهم في مدينة عكا ، كانوا عازمين على الاستيلاء على المدينة باعتبارها مركزاً هاماً ، وفعلاً باشروا في مهاجمتها في النصف الثاني من السنة نفسها (٦٤). غير انها صمدت . وجاءت النجدات القادمة من حلب

---

(٦٠) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من اعمال دمشق ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٠١/٣ .

(٦١) ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين ، تحقيق : محمد حلمي محمد احمد ، القاهرة ١٩٥٦ ، ٥٠/١ – ٥١ ، عاشور : الحركة الصليبية ٦١٧/٢ .

(٦٢) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص٢٨٩ ، ابو شامة : الروضتين ٥١/١ .

(٦٣) عاشور : الحركة الصليبية ٦١٨/٢ – ٦١٩ .

(٦٤) Berry "the second scrusade " in setton History of the crusade .Vol I P. 501.

والموصل لترفع من معنويات المدافعين عنها (٦٥) . وفي الوقت ذاته حاول معين الدين ان يدق أسفين التفرقة بين الصليبيين الجدد والقدامى ، فتقرب من الغزاة القدامى ، موضحاً خطر النادمين عليهم واحتمال مزاحمتهم على مافي ايديهم من الاراضي في الساحل وملوحاً من جانب آخر بقوة سيف الدين وما قد يقدم عليه يقول ابن الأثير (٦٦) . بقوله «ان ملك الشرق (نورالدين) قد حضر فان انتم رحلتم عنّا والاّ سلمت البلد اليه وحينئذ تندمون ، وارسل الى صليبيي الشام يقول لهم ، بأي عقل تساعدون هؤلاء علينا وأنتم تعلمون أنهم ان ملكوا دمشق اخذوا مابأيديكم من البلاد الساحلية واما أنا فان رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين وأنتم تعلمون أن ملك دمشق لايبقى لكم معه مقام في الشام » ويتضح من هذا ان هناك تناقضاً بين الصليبيين الجدد والقدامى حول مصير المدينة عند الاستحواذ عليها مما أدى الى فشلهم وانسحابهم (٦٧) . وفي الصدد نفسه يذكر ابو شامة النص الآتي : . «وبذل لهم ان يسلم اليهم بانياس ان رحلوا ملك الالمان عن دمشق فأجابوه الى ذلك وعلموا صدقة واجتمعوا بملك الألمان وخوفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع امداده وانه ربما ملك دمشق فلا يبقى لهم معه مقام بالساحل فأجابهم الى الرحيل عن دمشق فرحل ورحل صليبيو الساحل وتسلموا حصن بانياس من معين الدين(٦٨) ، ويتضح لنا من ذلك ان معين الدين فضل التفريط بمدينة بانياس خوفا من تعاظم نفوذ حاكم الموصل سيف الدين غازي الذي رأى في وجوده خطر يهدد سلطته على دمشق.

بمجرد أن زال هذا الخطر الذي كان يهدد دمشق سارع معين الدين أنر سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م الى عقد حلف مع الصليبيين ، وقد أشار الى ذلك ابن القلانسي(٦٩)» وكانوا قد عاهدوا الصليبيين على ان يكونوا يداً واحدة على من

(٦٥) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ٢٩٩ .
(٦٦) ابن الأثير : الكامل ١٣٠/١١ .
(٦٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٨٩ ، رنسيمان : تاريخ الحروب ٤٥٥/٢ – ٤٥٦ .
(٦٨) ابو شامة : الروضتين ٥٣/١ .
(٦٩) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ٣٠٨ ، ابو شامة : الروضتين ، ص٦٩

يتصدهم في عساكر المسلمين» ، وفي السنة ذاتها ارسل نورالدين حاكم حلب الى معين الدين رسالة يعلمه فيها ان صاحب انطاكيا جمع الصليبيين وخرج بهم يريد العبث في البلاد ويطلب منه أن يسير بنفسه للمساعدة لكن معين الدين المتحالف مع الصليبيين ارسل جزءاً من جيشه بقيادة احد قواته بدلاً عنه فجرت معركة (أنب) التي قتل فيها حاكم انطاكيا آنذاك (٧٠) .

بعد موت أنر سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م (٧١) تولى الحكم مجير الدين الذي عرف بسياسته التي تقوم على القسوة والعنف وسوء الادارة مما أضعف حكومة دمشق وجعلها لقمة سائغة للصليبيين مما دفع نورالدين الى ان يقوم بعمل سريع خوفاً من احتلالها من قبلهم ويصف لنا ذلك ابن الأثير بقوله (٧٢) «واستضعفوا مجير الدين وتابعوا الغارة على اعماله ، وأكثروا القتل بها والنهب والسبي ، وزاد الأمر بالمسلمين بها ، الى ان جعل الصليبيين على أهل المدينة قطيعة كل سنة فكان رسولهم يجيء الى دمشق ويجيبها من أصل البلد ، ثم اشتد البلاء على أصلها ، حتى أرسل الصليبيون واستعرضوا عبيدهم واماءهم ممن أخذوا من (بلادهم) »وأمام هذا الوضع عزم نورالدين على التوجه الى دمشق لمواجهة الصليبيين من جهة ومن ثم لضم المدينة الى دولته ، فأرسل الى مجير الدين طالباً مساعدته على الصليبيين الغزاة ، ومده بالف فارس لحراجة الموقف خاصة وان الصليبيين كانوا يطبقون الحصار الخانق على مدينة عسقلان غير ان رد مجير الدين عليه «ان ليس بيننا الا السيف» بقدر ما كان مخيباً لآماله كان باعثاً له في اقتحام المدينة عنوة ولكن كثرة الامطار منعته من ذلك(٧٣) . وان هذا الموقف الغريب والمشين من قبل مجير الدين قد اضعف مكانته وهيبته عند السكان ، وقد اصاب احد الشعراء (٧٤) كبد الحقيقة عندما قال متندر والمرارة تملأ فمه :

---

(٧٠) ابن القلانسي: ذيل دمشق ،ص ٣٠٤ .
(٧١) عاشور : الحركة الصليبية ٦٥٦/٢ - ٦٥٧ .
(٧٢) ابن الأثير : الباهر، ص ١٠٦ .
(٧٣)ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص٣٠٨-٣١٠ ، ابو شامة : الروضتين، ٦٩/٩ ٧٠.
(٧٤) ابو شامة : الروضتين ٧٨/١ - ٧٩ .

وقل لمبيد الدين وهو مجيـــره بزعم له وجه الحقيقة أزبـــد
تنصرت حيناً والبلاء موكـــــل ولا بد من يوم به تتهـــــــود
دمشق دمشق انما القدس سرحة ومركزها صرح عليها ممـــرد

وجد نورالدين ان مسألة توحيد دمشق لايمكن ان تأتي بالقوة ، لـــذا اعتمد اسلوب المناورة السياسية ، فضلاً عن الضغوط الاقتصادية ، فقد أوحى الى مجير الدين بأن هنالك جماعة من المقربين له يتآمرون عليه مما جعل مجير الدين يقوم بتصفيتهم ، فضلاً عن قيام نورالدين بتوطيد علاقته مع مجير الدين من خلال مراسلاته والهدايا ، في الوقت الذي كانت هناك اتصالات بين نور الدين وحركة الأحداث (٧٥) التي كان لديها نفوذ كبير لدى العامة (٧٦) ، وقام نورالدين بمنع القوافل التي تحمل الحبوب القادمة من الشمال الى دمشق مما جعل سكانها يتذمرون من سوء الأوضاع الاقتصادية فيها (٧٧) .

وهكذا أصبح الطريق ممهداً سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م لنورالدين للاستيلاء على دمشق فأوعز الى قائده وشيركوه للقيام بمهمة السفارة الى مجيرالدين واصطحب شيركوه عدد كبير من الجند (٧٨) . وقد أثار هذا الحشد الشك في نفس مجير الدين حيث هرع يطلب النجدة من حلفائه الصليبيين وعرض عليهم تسليـــم مدينة بعلبك مقابل مساعدتهم (٧٩) ، الا ان حلفائه تباطأوا في الوقت الذي أخذ فيه نورالدين يشدد الخناق على مجير الدين وتمكن في نهاية المطاف وبمساعدة اهالي دمشق من دخول المدينة عن طريق الباب الشرقي ، فلم يكن امام حاكمها خيار سوى الاستسلام (٨٠) .

(٧٥) حركة الأحداث : جماعة شعبية مسلحة منظمة ليس لها ارتباط سوى ببلدهم وتحارب من اجله . محمد رجب النجار : الشطار والعيارون في التراث العربي ، الكويت ١٩٨١ ، ص ١٦٣ .
(٧٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٧ ، ابو شامة : الروضتين ٩٦/١ .
(٧٧) ابن القلانسي : ذيل دمشق ، ص ٣٢٥ .
(٧٨) رنسيمان : تاريخ الحروب ٥٤٩/٢ .
(٧٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٧ ، ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ، ص ١٤٥ .
(٨٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٧ .

تمخض عن عملية ضم دمشق لجبهة المقاومة ان اصبح ميزان القوى يميل لصالح المسلمين اذ وظف نورالدين امكانات دمشق العسكرية والاقتصادية وموقعها الستراتيجي لمواجهة الصليبيين ، وعبر ابن الأثير (٨١) عن ذلك بقوله وألقى الاسلام بدمشق جرانه وثبت اوتاده ، وأبقى الكفار بالبوار ، ووهنوا واستكانوا ومما يؤكد هذا التغيير في ميزان القوى في بلاد الشام لصالح المسلمين هو انحسار النفوذ الصليبي عن بلاد الشام فأخذت انظارهم واطماعهم التوسعية تتجه نحو الجنوب والغرب أي باتجاه البحر الأحمر ومصر .

لم تلبث الوحدة التي حققها نورالدين ان انفصم عراها بوفاته سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤ (٨٢) اذ نشب النزاع بين أبرز قواده وهما شمس الدين علي بن الداية والأمير شمس الدين محمد بن عبدالملك المعروف بابن المقدم ، حول الوصاية على الملك الصالح اسماعيل بن نورالدين الذي كان عمره آنذاك في الحادية عشرة (٨٣) . وانعكس هذا النزاع على سياسة حكام دمشق تجاه الصليبيين والتي اتسمت بطابع التحالف والتهادن للوقوف امام أية خطوة وحدوية .

انتهز عموري الأول ملك بيت المقدس حالة الفوضى والارباك التي عاشتها بلاد الشام أثر وفاة نورالدين فجمع قواته وسار الى مدينة بانياس فلقيه ابن المقدم نائب دمشق بقواته الا ان الأخير شعر بعجزه عن المواجهة ، فاختار المهادنة على الحرب ، فاقترح على الملك الصليبي عقد هدنة فأجابه بالقبول مقابل شروط مهينة (٨٤) ، وهي ان يتعهد ابن المقدم بدفع مبلغ من المال وأن يطلق كافة الأسرى الصليبيين بدمشق وأن يعقد معه في المستقبل محالفة لمناهضة صلاح الدين في حالة تعرضه لدمشق (٨٥) ، فعندما علم صلاح الدين بذلك استاء من قادة دمشق فكتب الى ابن المقدم وغيره من الأمراء الزنكيين يذكر

(٨١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .
(٨٢) عاشور : الحركة الصليبية ٧٣٨/٢ .
(٨٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٦٢ – ١٦٣ ، ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ، ٢٢٨ – ٢٢٩ .
(٨٤) ابو شامة : الروضتين ٢٣١/١ .
(٨٥) رنسيمان : تاريخ الحروب ، ٦٤٥/٢ .

عليهم تخاذلهم ومهادنتهم للصليبيين واخبرهم بعزمه على القدوم الى دمشق والنيام بالوصايا على ابن سيده نورالدين (٨٦) ، فخرج صلاح الدين بسبعمائة فارس من مصر فوصل دمشق في اواخر ربيع الأول ٥٧٠هـ/١١٧٤م حيث أستقبل استقبالاً حافلاً من قبل اهالي دمشق (٨٧) . واتخذ صلاح الدين من دمشق قاعدة لتنفيذ مشروعه الهادف الى اعادة وحدة بلاد الشام باعتباره السبيل الوحيد لمناهضة الوجود الصليبي في المنطقة .

الخاتمة :

يتضح مما تقدم ان سياسة الموازنة والتعايش السلمي التي اعتمدها حكام دمشق والتي أملتها عليهم مصالحهم الشخصية للحفاظ على السلطة بغض النظر عما تتطلبه المصلحة العامة آنذاك من توحيد الجهد ونكران الذات لمواجهة العدوان الصليبي ، فعلى الرغم من بعض اسهاماتهم العسكرية في مقاتلة الصليبيين الا ان الملاحظ أنها كانت تقتصر على الحالات الدفاعية ، وعلى هذا فان حكام دمشق في ظل سياستهم تلك كانوا بمثابة حجر عثرة في طريق التصدي للغزاة الصليبيين وأن دمشق تكون في خط المواجهة مع جبهة المقاومة الاسلامية فان هذا بحد ذاته يشكل تهديداً خطيراً للوجود الصليبي ، وهذا فعلاً ماحصل في عهد نورالدين محمود حينما انحصر نفوذ الصليبيين الى الشريط الساحلي الضيّق لبلاد الشام باستثناء امتدادهم نحو خليج العقبة الذي كان حاجزاً مانعاً بين مصر والمشرق العربي ، وقد تمكن صلاح الدين من ازالته بعد أن وظفّ امكانات الموصل وحلب ودمشق وبقية مدن الشام ومصر ، لينزل الضربة القاصمة بالصليبيين في معركة حطين .

---

(٨٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٣٢٤/٨ ، ابو شامة : الروضتين ، ٢٣١/٢ .
(٨٧) ابن الأثير : الكامل ٤١٦/١١ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٠ .